منهج القرآن في غرس قيم الجمال في الإنسان

د رمضان خميس زكي الغريب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

في كلية الشريعة جامعة قطر

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد(صلى الله عليه وسلم وآله ومن والاه)

وبعد فقد غَنيَ القرآن الكريم بقيم الجمال، على تعدد مصادرها، وتنوع مواطنها، وتعددت معها أساليب القرآن الكريم في البيان عنها، والإعراب عن ملامحها ومعالمها، بل تنوعت أساليبه في غرسها في نفوس الناس وتربيتهم عليها، بدءا بالبيان، ومرورا بالتصوير واختيار المفردة، وتناول القضية، وسبك النظم، وتراص البنية اللغوية، إلى التربية العملية على قيم هذا الجمال، في بيانات متعددة، وصور مترابطة تغرس في النهاية غراسا يشي بروعة الجمال الذي لا يتنافى مع الحضارة الحقة التي تعترف بالإنسان باعتبار أنه إنسان، بغض النظر عن معتقده أو هواه، أو ميوله أو اتجاهه وفكره.

وفي هذه الدراسة أحاول أن أتلمس المنهاج القرآني في غرس قيم الجمال- على تنوعها- في نفس الإنسان حتى يكون الإنسان إنسان الشهود الحضاري لا إنسان الغياب.

واعتمدت فيها المنهج الوصفي والاستنباطي والتحليلي، وبعض المناهج التي تتناسب مع طبيعة الدراسة.

ويمكن أن تأتي هذه الدراسة في الهيكل الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الجمال في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني

المبحث الثاني: منهج القرآن في غرس قيم الجمال في الإنسان

الخاتمة

أهم المصادر والمراجع

والله وحده خير مسؤول ومأمول

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد من وآله وصحبه ومن والاه، اللهم إنا نبرأ من حولنا وطولنا وقواتنا، ونلوذ بحولك وطولك وقوتك؛ فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا قبضتها يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك يا حنان يا منان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام أن تجعل أقوالنا، وأفعالنا، وحركاتنا، وسكناتنا، فيك لك خالصة؛ إنك على كل شيء قدير أما بعد :

فلقد عُني القرآن الكريم بإقامة الإنسان السوي الذي يعي الحياة ويتعامل معها، ويحسن توظيفها وتكييفها بالصورة السوية الملائمة، وفي سبيل هذا حرَص القرآن أن تكتمل رؤية هذا الإنسان لكل ما حوله، فيدرك الجمال، ويتذوقه ويتأثر به، حتى يدله الجمال على الجميل، وينتقل من الكون إلى المكون ومن الصنعة إلى الصانع، ومن الأثر إلى المؤثر، ولا يكون كحمار الرحى ينتقل من مكان إلى مكان والذي انتقل منه هو الذي رحل إليه، بل ينتقل من الأثر إلى المؤثر، وبدت هذه العناية في مناحي متعددة من أبرزها شمول القرآن على منهجية واضحة المعالم بيِّنة القسمات قيمة الجمال في الإنسان.

وتنوعت ملامح تلك المنهجية القرآنية في سبيل هذا الغرض الكريم من ذكر الجمال صراحة والنص عليه في مواطن بلغت ثمانية مواطن، وفي ذكر ما يقترب منه من مفردات تشترك معه في دائرة دلالية بقدر وتفترق عنه بقدر مثل **مفردات:** الحسن، والزينة، والتعديل، والتسوية، والبهجة، والزخرف، والنضرة، والحرير، والديباج، والسندس، والإستبرق، ونحوها مما سنعرض لبعضه، كما تناول **وسائل** تلك الجمالية كالحلية والرياش ، **وآثارها** كالسرور والعجب ولذة الأعين، وتناول الجمال الصوتي والجمال المرئي والجمال المعنوي.

ومما يؤكد أن الإسلام عامة، والقرآن خاصة له نظرية محددة ومنهجية معينة في غرس قيم الجمال والنظر إليها اعتباره (أن التبسم في وجه الأخ صدقة، وأن المشقة تجلب التيسير، وأن مع العسر يسراً، واستنكار الدين لفعل من حَرَم نفسه من متع الحياة وزينتها، من الامتناع عن النساء، والصوم الدائم، والامتناع عن الطعام، والقيام المديد، والامتناع عن النوم، وما أحله الله، وظن ذلك من الارتقاء بالعبادة... وغير ذلك كثير مما لا يتسع المجال للإتيان عليه، وإنما هي نوافذ للإطلالة منها على مذهبية الإسلام في الجمال وتقديره والدعوة إليه وممارسة تذوقه والنفاذ من الصور الجمالية إلى مبدعها وخالقها.)([1])

ولم يقتصر القرآن الكريم على هذا بل تطلع لغرس هذه المنهجية في أن ينقل للقارئ صورة حية من الجمال الحي حسا ومعنى، واستخدم المفردات التي تغري القارئ والسامع بتبني لغة الجمال والذوق، والرقي الفكري والسلوكي.

[1] – علم الجمال ...رؤية في التأسيس القرآني العدد ١٥١ من كتاب الأمة ص ١٠ من مقدمة ا عمر عبيد حسنة.

وربط بين هذا الجمال وبين الانتفاع به والتأثر من خلاله بحقِّية الحق، وصدقية الصدق ومثالية المبدأ.

ودعا القرآن الكريم الإنسان إلى التملِّي بصور الجمال والتمتع بها والعيش في فيئها، والتعامل على هدي من سناها، فجمع بين التوصيف والتوظيف وبين الدلالة والإغراء بالتناول.

وقصد القرآن من خلال هذه المنهجية إلى بناء شخصيةٍ جميلة الفعال، مليحة الخلال، تتطور لديها ملكة الحس؛ فيتأثر بها الإدراك وتنتقل آثارها إلى الأداء فيكون السلوك جميلا ، فهو جمال لا يتسفل، وصبوح لا يتدنى، وهي ملكة تجمع بين الإبداع والإتقان، والحضارة والبناء.

وتنوعت مسارب هذه المنهجية عبر مجالات متعددة ومسارات متشابكة، فهي تشمل جانب العلاقات الزوجية أو مجال الأسرة، ومجال السير في الأرض والحركة والسكون وعدم الاختيال أو المشي مرحا، ومجال الخطاب والبيان، ومجال الوصف والتبيين وشمل مجموعة من المفردات التي غطت جنبات الحياة كالمسجد والصلاة والطهارة والصلاة والزكاة والحج والأسرة والمسكن.

وأضاف القرآن لمعاني الجمال قيما جديدة وحرر معنى الجمال وأطلقه من أُسار الشكل إلى الجمع بين الشكل والمضمون، والقيمة والسلوك والتعامل، حتى إن سبعة مواضع من الثمانية التي ورد فيها لفظ الجمال صريحا تناولت القيمة وليس الشكل، والمعنى وليس المبنى.([٢])

واتسم تناول القرآن للجمال بالشمول والعموم، والاتساق والتنوع، وانطلق من الجمال الفني إلى الجمال الكوني ومن جمال الصيغة إلى جمال المعنى، كما اتسم بالتوازن، والربط بينه وبين مصدره ومرده، ومنبعه ومشكاته.

وأبرز ما يلفت النظر في منهجية القرآن الكريم في تناوله للجمال وغرسه في نفوس السامعين والقارئين:

- ✓ ربطه بالله تعالى مصدر كل جميل ومنبع كل جمال.
- ✓ الربط بين الجمال والانتفاع .
- ✓ تأكيد أن الجمال ليس لهوا بل دهو دافع إلى الإتقان والبناء والعمل.
- ✓ وضع معايير الجمال الحق والمزج بين الحسي منه والمعنوي.
- ✓ عدم الاقتصار على جمال الظاهر، والغوص إلى جمال الباطن والقيمة والرسالة.
- ✓ الربط بين الجمال والإيمان بالله.
- ✓ الربط بين الجمال وتذوقه وبين التفكر فيه والتأمل في آثاره.

وليس غرضي هنا تتبع قيمة الجمال في القرآن فهذا باب طويل الذيول واسع الأكمام، ومساحة البحث لا تتناسب معه، بل غرضي التركيز على منهجية القرآن في غرس قيمة هذا الجمال في النفس البشرية .والله المستعان

[٢] – راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، مادة جمل.

المبحث الأول

مفهوم الجمال في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني

وفي هذا المبحث أتناول أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: مفهوم الجمال في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم الجمال في الاصطلاح

المطلب الثالث: مفهوم الجمال في الاستعمال القرآني

المطلب الرابع: المفردات المقاربة للجمال في القرآن الكريم وعلاقتها به.

المطلب الأول

مفهوم الجمال في اللغة

الراصد للجذر اللغوي لمفردة الجمال وتقلباتها يرى أنها تدل على عدد من المعاني التي يمكن تصور الجمع بينها والربط بين دلالاتها، فهي تدل على الحسن، وكثرة الحسن، والاتئاد والتريث، والبهاء، والجمع، والحبس، والتناسب في الأعضاء ، والزينة، كما يتعلق بالخَلق والخُلق، والرضا واللطف، ويكون في الصور والمعاني.

تقول كتب اللغة: الجمال: هو **الحسن** ويكون في الفعل والخلق. وقد جمل الرجل، بالضم، جمالا، فهو جميل وجمال، بالتخفيف..... والجمال، بالضم والتشديد: أجمل من الجميل. وجمَّله أي زينه. والتجمل: **تكلف الجميل**. ..وجمل الله عليك تجميلا إذا دعوت له أن يجعله الله جميلا حسنا. وامرأة جملاء وجميلة: وهو أحد ما جاء من فعلاء لا أفعل لها.

.... قال ابن الأثير: والجمال **يقع على الصور والمعاني**؛ ومنه الحديث:

(إن الله جميل يحب الجمال)([٣])ومن دلالاته البديعة: أي حَسَن الأفعال كامل الأوصاف([٤])؛

ومن الجمال المجاملة وهي ترك الرجل الجواب إبقاء على مودتك([٥])

قال الجرجاني في التعريفات: الجمال من الصفات: ما يتعلق بالرضا واللطف.

---

[٣] – صحيح مسلم (١/ ٩٣)، مسند أحمد ط الرسالة (٦/ ٣٣٨).

[٤] – لسان العرب: (١١/ ١٢٦) تاج العروس (٢٨/ ٢٣٨) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (١/ ٢٨١) المعجم الوسيط (١/ ١٣٦).

[٥] – لسان العرب (١١/ ١٢٧)، والتعريفات (ص: ٧٨).

والمجاملة: المعاملة بالجميل، وأجمل في صنيعه وأجمل في طلب الشيء: اتأد واعتدل فلم يفرط؛ قال: الرزق مقسوم فأجمل في الطلب وقد أجملت في الطلب. وجملت الشيء تجميلا وجمرته تجميرا إذا أطلت حبسه ...وجمل الشيء: جمعه. والجميل: الشحم يذاب ثم يجمل أي يجمع.([٦])

وقال الزبيدي: والجمال: الحسن يكون في **الخَلق وفي الخُلُق**. وعبارة المحكم في الفعل والخلق، وقوله تعالى(لكم فيها جمال) النحل ٦٣، أي: **بهاء وحسن**.

ويجوز أن يكون الجمل سمي بذلك لأنهم كانوا يعدون ذلك جمالا لهم، أشار إليه الراغب.([٧])

وقال الراغب: الجمال: **الحسن الكثير**، وذلك ضربان: **أحدهما: جمال يختص الإنسان به. في نفسه أو بدنه أو فعله. والثاني: ما يصل منه إلى غيره**. وعلى هذا الوجه ما روي: إن الله جميل يحب الجمال تنبيها أن منه تفيض الخيرات الكثيرة فيحب من يختص بذلك.([٨])

ونلحظ من خلال عرض المادة اللغوية ودلالتها أنها تشي بالجمال في الصورة والفعل، وتتناول الطبع والخلق، والسلوك والتعامل، والشكل والمظهر، فكأن الجمال الحقيقي لا يتوقف على الشكل دون المعنى أو المظهر دون المخبر، أو الوصف دون الطبع أو حتى الخلق الجبلي فقط أو السلبي من غير التعامل، فهو كل لا يتجزأ، ومجموعة متشابكة من حسن الصورة وجمال الطبع وكثرة البهاء ورقي الذوق وجماع الأخلاق.

المطلب الثاني

مفهوم الجمال في الاصطلاح

وإذا ذهبنا إلى المعنى الاصطلاحي للجمال وجدناه لا يبعد كثيرا عن المعنى اللغوي، بل ينطلق منه ويؤسس عليه، فنرى الراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن والفيروز آبادي في بصائره يريان أن الجمال هو : الحسن الكثير، وأن ذلك ضربان:

(أحدهما: جمال يخص الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله.

والثاني: ما يوصل منه إلى غيره. وعلى هذا الوجه ما روي عنه صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال»([٩]) تنبيها أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة، فيحب من يختص بذلك.)([١٠])

---

[٦] – والتعريفات (ص: ٧٨).

[٧] – تاج العروس (٢٨/ ٢٣٦).

[٨] – مفردات الراغب الأصفهاني: ٢٠٢.

[٩] – صحيح مسلم (١/ ٩٣)، مسند أحمد ط الرسالة (٦/ ٣٣٨).

وفي هذا بيان أن الجمال لا يكون وصفا ظاهرا كما يظن بعض الناس، بل منه ما يكون وصفا، ومنه ما يكون فيضا وعطاء إلى الغير ولذا أحبه الله واتصف به.

المطلب الثالث

مفهوم الجمال في الاستعمال القرآني

وإذا تتبعنا المفردة ودورانها في القرآن الكريم وجدنا أنها وردت ثماني مرات بصيغ: (جمال، جميل، جميلا)

وإذا أردنا أن نرصد هذا الورود الكريم ونستنبط منه دلالاته ومعطياته وجدنا الملامح والدلالات الآتية:

١- أنه ورد في الفترتين المكية والمدنية، وأن وروده في المكي كان أكثر، خمس مرات في الوقت الذي كان وروده في المدني ثلاث مرات، وفي ذلك ما فيه من تأسيس وترسيخ وتقوية لمعنى أن الجمال ليس شيئا تحسينيا بل هو أساس في بناء الإنسان، وتنمية ذوقه، ورقي روحه ونفسه وتعامله، فإذا كان لنا أن نقول إن عدد مرات الورود والدوران للكلمة في القرآن الكريم له دلالة فلتكن تلك الدلالة هي الأهمية ولفت الانتباه إلى قيمة وجود الجمال في بناء الإنسان، على عكس ما كان يتوقع من أن الجمال رفاهية وتحسين بعد الأساس؛ فلا تنهض النفس خارجا إلا إذا رقت داخلا وانعتقت فانطلقت، فأثمرت بناء وحضارة.

٢- أنه ورد بصيغ المصدر واسم الفاعل، وفي هذا من الدلالة على أن أصل الجمال ومصدره مطلب أساس، وقيمة كبرى في تنمية النفس الإنسانية وإكمال بنائها.

٣- أنه ورد في مقامات متعددة ومناخات متنوعة، فقد ورد في الحسي والمعنوي، وفيما يخص العلاقة بين الإنسان ونفسه، والإنسان وغيره، وفي سياقات متباينة وإن كان الجانب الإنساني فيها غالبا، فوردت المفردة الكريمة وأصولها اللغوية في القرآن الكريم بمعاني متعددة، فوردت بمعنى الاجتماع في قوله تعالى: {لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة} أي مجتمعا كما أنزل نجوما متفرقة.

وبمعنى **المحاسنة والمجاملة:** {فاصفح الصفح الجميل}الحجر:٨٥.

وبمعنى **الصبر بلا جزاء:** {فاصبر صبرا جميلا}، المعارج ٥ وقال يعقوب عليه السلام {فصبر جميل} يوسف: ١٨.

وبمعنى **مقاطعة الكفار على الوجه الحسن:** {واهجرهم هجرا جميلا} المزمل:١٠.

وبمعنى **إطلاق النساء على الوجه الجميل:** {وسرحوهن سراحا جميلا}الأحزاب ٢٨.

---

[١٠] – المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٠٢)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٣٩٥) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٢٩).

وبمعنى **الحسن والزينة:** {ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون}النحل: ٦.

وبمعنى **البعير البازل:** {حتى يلج الجمل في سم الخياط}، الأعراف:٤٠.

وجمعه جمال وأجمال وجمالة وجمائل وجامل، وهذا من نوادر الجموع كالباقر لجماعة البقر وراعيها، ومنه قوله تعالى: {كأنه جمالت صفر}المرسلات: ٣٣.، وقرئ جمالات وهى جمع جمالة بالضم وقيل هي القلوس: قلوس السفن.([١١])

والملاحظ أن دوران الكلمة في القرآن الكريم ورد في مقام التعامل، فهو صبر جميل وصفح جميل وهجر جميل وسراح جميل، وفي مقام المتعة ورواح النفس، وتأمل النعم وفيض المنعم بعد ذكر فوائد تلك النعم والأنعام من الدفء والمنافع والأكل، والتمتع في رواحها وسراحها، وفي مقام الضخامة والكثرة البالغة، والصورة تظهر رهيبة رعيبة عندما يقاس كل ما ورد في الآيات بعضه ببعض: سم الخياط والجمل.

المطلب الرابع

المفردات المقاربة للجمال في القرآن الكريم

وقد ورد عدد من المفردات المقاربة للجمال في القرآن الكريم، نسعى لرصدها والوقوف عندها وقفات منهجية حتى يبين الفرق وتظهر الصلة بين هذه المفردة وأخواتها، وتصير الفكرة مكتملة بجمع كل ضميمة إلى أختها، ومن هذ الألفاظ ما يأتي:

١- الحسن
٢- الزينة
٣- التسوية
٤- الإبداع

وسنتناول هذه الألفاظ واحدة، واحدة ؛ حتى يبين حرص القرآن الكريم على غرس قيم الجمال في الإنسان مطلق الإنسان في أي زمان وعلى أي مكان، ومنهجية هذا الغرس حتى تنشأ الشخصية الإنسانية عامة والإسلامية خاصة شخصية سوية فطرية دون خلل أو عوج تتمتع بخيرات الله وتعبده، وتسعى في الأرض بنعمه وتشكره، فتعمر الأرض بروح راقية، مقبلة لا مدبرة، متفائلة لا متشائمة، تحبب الناس إلى الخير وتحببهم إلى مصدر الخير والحق والجمال، بديع السماوات والأرض.

أولا: الحسن

[١١] - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٣٩٥).

والحسن من أقرب الألفاظ دلالة على الجمال، وإن كان بينهما فرق ذكره أبو هلال العسكري بقوله:(إن الجمال هو ما يشتهر ويرتفع به الإنسان من الأفعال والأخلاق، ومن كثرة المال والجسم وليس هو من الحسن في شيء ألا ترى يقال لك في هذا الأمر جمال ولا يقال لك فيه حسن وفي القرآن (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)، النحل:٦، يعني الخيل والإبل والحسن في الأصل الصورة ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصور، وأصل الجمال في العربية: العظم ومنه قيل الجملة؛ لأنها أعظم من التفاريق والجمل الحبل الغليظ والجمل سمي جملا لعظم خلقته ومنه قيل للشحم المذاب جميل لعظم نفعه)([١٢])

وورد لفظ الحسن في القرآن الكريم مائة وأربعا وتسعين مرة، وموزعة على العهدين المكي والمدني، ووروده في المكي أكثر مائة واثنتي عشرة مرة، وفي المدني ورد اثنتين وثمانين مرة، وكان وروده على النحو الآتي: (حسُن، حسنت، أحسنَ، أحسنتم، أحسنوا، تحسنوا، يحسنون، أحسَنوا، حُسْن، حُسْنا، حسنهن، حَسَن، حسنا، حسنة، حسنات، الحسنى، الحسنيين، حسان، أحسَن، أحسنه، بأحسنها، إحسان، محسن، محسنون،)

ومن هذا الورود نلحظ الآتي:

١- أن المادة وردت على صيغ الأفعال الثلاثة، الماضي والمضارع والأمر، وفي هذا من شمول الزمان ما فيه، فكأنه مطلوب في كل وقت ولا ينفك عنه الزمان لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل، وفي هذا الورود والكثرة ما فيه من عناية القرآن به وبغرسه في نفس الإنسان..
٢- أنها وردت لازمة ومتعدية: حسُن، أحسن، وفيه دلالة على أنه ذاتي ومتعدي إلى الغير.
٣- أنها وردت مفردة ومجموعة، وفيه دلالة على أن الحسن يكون في الأفراد الجماعة، والقليل والكثير.
٤- ونلاحظ أن دلالة الحسن تدل على أنه جمال محسوس، في الحسن ذاته وفي عين الرائي وتتبع الآيات الكريمة يدل على هذا.
٥- وصف به العموم والخصوص، فمن العموم قوله تعالى: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" [السجدة:٧]. ومن الخصوص حسن الجنة حيث حسنت مستقرا ومقاما "خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً" [الفرقان:٧٦]. وحسنت مستقرا ومقيلا "أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً" [الفرقان:٢٤]، وحسنت مرتفقا "مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً" [الكهف:٣١]، وحسن صور بني آدم "وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ" [غافر:٦٤]، وحسن النساء، يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: "لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ" [الأحزاب:٥٢]. وحسن الأسماء "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا" [الأعراف:١٨٠]. وحسن الثياب والفرش "مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ" [الرحمن:٧٦]

[١٢] – الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٦٢).

٦- إن الجمال لفظ يعكس تأثير الشيء المرئي في النفس، والحسن لفظ يعكس الجمال الذي يوجد حقيقةً في ذلك الشيء والذي يتفق عليه الرائون بدرجات متفاوتة. وأن من أهم صفات الحسن امتزاجه بكينونة الشيء وملازمته له، وبعبارة موجزة: الجمال كلمة تدل على شعور عارض والحسن لفظة تنبيء عن جمال مادي حقيقي دائم. على أن هناك جمالا عارضا وظاهريا كأن يكون في اللباس أو في نوع تصفيف الشعر أو ما إليهما مما هو قابل للإزالة أو التغيير خلال أمد قصير. وللدلالة على هذا الضرب من الجمال العارض استعمل القرآن الكريم لفظ الزينة.([١٣])

ثانيا: الزينة

وقد ورد لفظ الزينة ومشتقاته في القرآن الكريم ستا وأربعين مرة منها إحدى وثلاثين في المكي وخمس عشرة في المدني ووردت بصيغ: (زينا، زيناها، زينة، فزينوا، لأزينن، زُيِّن ، زَيَّن، ازينت، زينتكم، زينته، زينتهن)، ونلاحظ على هذا الورود الآتي:

١- أنها أتت في زمن الماضي والحاضر.
٢- أنها وردت مضافة إلى المفرد والجمع
٣- أنها وردت في مقام المدح والذم.
٤- أنها وردت في المحسوس والمعنوي.
٥- أنها أسندت إلى المذكر والمؤنث.
٦- أنها ليست من ماهية المتزين بل خارجة عنه، وهي هنا غير الحسن وغير الجمال، فالجمال ذاتي والحسن ذاتي وفي نظر الرائي، والزينة شيء خارج عن كينونة صاحب الزينة، وتتبع الآيات والتأمل فيها يدل على هذا: (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم)[طه ٨٧]، ((اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم))[الحديد ٢٠]، ((يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد))[الأعراف ٣١]، ((فخرج على قومه في زينته)) [القصص ٧٩] وغيرها من الآيات الكريمات. وقد وردت "زينة " في مواضع أخرى تبدو في ظاهرها وكأنها تعكس الأثر الجمالي في النفس من مثل قوله – سبحانه –: : ((والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)) [النحل ٨].

ثالثا: التسوية

وورد لفظ سوى ستة عشر مرة في المكي والمدني خمس عشرة مرة في المكي ومرة في المدني، وكان وروده على النحو الآتي: (سوى، سواك، سواه، سواها، سواهن، فسواهن، سويته، نسوي، تسوى، ساوى)، وفي هذا الورود ما يأتي:

١- أنه ورد في المكي والمدني.

[١٣] – مقال عن الجمال للأستاذ توفيق عباس. من الشبكة العنكبوتية.

٢- أنه ورد لازما ومتعديا.

٣- أنه ورد مضافا إلى المفرد: الحاضر والغائب.

٤- أنه غالبا ما يسند إلى الله (تعالى)، والآيات الكريمة تشهد بهذا:((فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)) [الحجر ١٥]، وكما هو جلي كمال الخلقة وتمامها داخليا وخارجيا. أو كقوله – سبحانه –: ((أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا)) [الكهف ١٨]، ((الذي خلقك فسواك فعدلك))[الانفطار ٧]، ((ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات))[البقرة ٢٩]

رابعا: الإبداع

وورد لفظ الإبداع ومشتقاته في القرآن الكريم أربع مرات مرتين في المكي ومرتين في المدني وكان وروده على النحو الآتي: (ابتدعوها، بدع، بديع). وفي هذا الورود ما يأتي:

١- أنه ورد في المكي والمدني.

٢- أنه ورد لازما ومتعديا.

٣- أنه ورد في المحمود وغير المرغوب.

المبحث الثاني

منهج القرآن في غرس قيم الجمال في الإنسان

ويشمل هذا المبحث المطالب الآتية:

المطلب الأول: دعوة القرآن الإنسان إلى رؤية الجمال وتذوقه

المطلب الثاني: تنمية القرآن الذائقة الجمالية من خلال المفردة

المطلب الثالث: منهجية القرآن في غرس الجمال من حيث التصوير

المطلب الرابع: ربط القرآن بين الجمال والنفع في التناول

المطلب الأول

دعوة القرآن الإنسان إلى رؤية الجمال وتذوقه

المتأمل في القرآن الكريم ، والراقب لمنهجياته المطردة التي لا تخطئها العين الباصرة فضلا عن المتأملة والمتمعنة يجد دون لبس أو خفاء حرص القرآن الكريم على لفت أنظار السامعين والقارئين إلى عظمة الجمال وروعته، سواء كان هذا الجمال حسيا أو معنويا، ظاهريا أو باطنيا، سلوكا أو خلقا، وكثرت الآيات القرآنية التي دعت الإنسان إلى النظر في الكون وما فيه، من سماوات باهرة، ونجوم زاهرة، ولفت النظر إلى هذا الكون العامر الزاخر، والفضاء الفسيح الكاثر الماخر بكل عجيبة، والغني بآثار صنع المليك سبحانه، ولا يسعنا في هذه التطوافة السريعة أن نحصر آيات الدعوة إلى التأمل في الكون ، والوقوف عند صفحات الجمال التي يرصدها القرآن، بل يكفينا أن نشير الإشارة التي تغني عن العبارة، والتلميح الذي يكفي عن التصريح، فنقف على نماذج محددة مما دعا فيه القرآن الإنسان إلى النظر إلى جماليات الكون، بألوانها المتعددة، وصورها المتباينة؛ سعيا منه إلى تأسيس وتدعيم الحس الجمالي في النفس البشرية، وتأكيدا لعنايته بغرس الجمال في نفس الإنسان.

ومن هذا قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)) الغاشية ٨-٢٠.

وكما نلحظ في الآيات الكريمة أنها وصفت الغيبي والشهادي، وصفا يتلألأ جمالا، ويتألق بهجة وحسنا، فوصفت نعيم أهل الجنة ومتاع أهل الدنيا، ففي تناولها لوصف الجنة حلقت بالنفس أيما تحليق وتألقت في العرض أيما تألق، وتنوع بيانها ولفت أنظار السامعين وتشويقهم إليها، من حيث صفاء السمع، وانعدام اللغو، ووفرة العيون الجارية، والسرر المرفوعة، والأكواب الموضوعة، والنمارق المصفوفة، والزرابي المبثوثة، وعندما انتقلت إلى عالم الشهود دعت إلى التأمل والنظر بصيغة التحضيض والتحريض على التأمل في الإبل وكيف خلقت، والسماء وكيف رفعت، وإلى الجبال وكيف نصبت، وإلى الأرض وكيف سطحت، وكل هذا يغرس في النفس صورة التناسق بين هذه الصورة المتراصة والكون المتناغم المؤتلف، الذي يكمل بعضه بعضا ويتآلف بعضه مع بعض.

إنها صورة مرسومة بدقة بارعة تلفت النظر وتسترعي الانتباه وتنادي بصوت عال أن هلموا إلى ربكم.

وقد فصل الإمام الرازي هذه الصورة البديعة التي ذكرها القرآن الكريم، صفة، صفة وتتبعها ورسم من خلالها صورة بديعة تستجلي النظر وتلفت الانتباه، فقال:

فالسرر المرفوعة: أي عالية في الهواء وذلك لأجل أن يرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه في الجنة من النعيم والملك، ...والأكواب الكيزان التي لا عرى لها قال قتادة: فهي دون الأباريق. وفي قوله: موضوعة وجوه أحدها: أنها معدة لأهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيئا فيقول هو هاهنا موضوع بمعنى معد وثانيها: موضوعة على حافات العيون الجارية كلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة من الشرب وثالثها: موضوعة بين أيديهم لاستحسانهم إياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو من جوهر، وتلذذهم بالشراب منها ورابعها: أن يكون المراد موضوعة عن حد الكبر أي هي أوساط بين الصغر والكبر كقوله: قدروها تقديرا. [الإنسان: ١٦] والنمارق هي الوسائد في قول الجميع واحدها نمرقة ...أو وسائد مصفوفة بعضها إلى جانب بعض أينما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند إلى أخرى. والزرابي المبثوثة يعني البسط والطنافس واحدها زربية وزربي بكسر الزاي في قول جميع أهل اللغة، وتفسير مبثوثة مبسوطة منشورة أو مفرقة في المجالس.([١٤])

وبهذا الرصد البديع تظهر صورة هذا الجمال الذي يسعى القرآن إلى لفت النظر إليه ودعوة الناس للتنعم به والتعامل معه، ولقد تكررت هذه النداءات والتحريضات في القرآن الكريم إلى النظر إلى الجمال والتعامل معه كثيرا، وتبدو منهجية القرآن في هذه الدعوة في الربط بين الدعوة إلى الجمال والتفكر فيه، والتحول إلى ما وراءه من مبدع جميل ومنشئ بديع، (وهذه الإباحة للنظر والبحث في الكون، بل هذا الإرشاد إليها بالصيغ التي تبعث الهمم وتشوق النفوس، ككون كل ما في الأرض مخلوقا لنا محبوسا على منافعنا هو مما امتاز به الإسلام في ترقية الإنسان، فقد خاطبنا القرآن بهذا على حين أن أهل الكتاب كانوا متفقين في تقاليدهم وسيرتهم العملية على أن العقل والدين ضدان لا يجتمعان، والعلم والدين خصمان لا يتفقان، وأن جميع ما يستنتجه العقل خارجا عن نص الكتاب فهو باطل.

ولذلك جاء القرآن يلح أشد الإلحاح بالنظر العقلي، والتفكر والتدبر والتذكر، فلا تقرأ منه قليلا إلا وتراه يعرض عليك الأكوان، ويأمرك بالنظر فيها واستخراج أسرارها، واستجلاء حكم اتفاقها واختلافها (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض) (١٠: ١٠١) (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) (٢٩: ٢٠) (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) (٢٢: ٤٦) (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) (٨٨: ١٧) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة جدا، وإكثار القرآن من شيء دليل على تعظيم شأنه ووجوب الاهتمام به، ومن فوائد الحث على النظر في الخليقة – للوقوف على أسرارها بقدر الطاقة واستخراج علومها لترقية النوع الإنساني الذي خلقت هي لأجله – مقاومة تلك التقاليد)([١٥])

ومن اللافت للنظر في دعوة القرآن إلى الجمال في هذا النموذج الربط البديع بين هذا الوصف الجمالي وبين القيمة العقدية والأخروية التي يريد القرآن أن يصل إليها ويعمقها في نفوس السامعين والمشاهدين، وهذا ما

[١٤] – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١٤٣) بتصرف واختصار.

[١٥] – تفسير المنار (١/ ٢٠٨).

تكفلت به الآيات الكريمة في السورة نفسها، في قوله تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)الغاشية: ٢١- ٢٦.

فانتقل الوصف الجمالي من رصد صفحة من صفحات الجمال إلى الولوج لبناء العقيدة والحديث عن الحساب والدار الآخرة، وأن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هي التذكير والبيان وأنه ليس عليهم بمسيطر، فالسورة كلها (واحدة من الإيقاعات العميقة الهادئة. الباعثة إلى التأمل والتدبر، وإلى الرجاء والتطلع، وإلى المخافة والتوجس، وإلى عمل الحساب ليوم الحساب! وهي تطوف بالقلب البشري في مجالين هائلين: مجال الآخرة وعالمها الواسع، ومشاهدها المؤثرة. ومجال الوجود العريض المكشوف للنظر، وآيات الله المبثوثة في خلائقه المعروضة للجميع. ثم تذكرهم بعد هاتين الجولتين الهائلتين بحساب الآخرة، وسيطرة الله، وحتمية الرجوع إليه في نهاية المطاف.. كل ذلك في أسلوب عميق الإيقاع، هادئ، ولكنه نافذ. رصين ولكنه رهيب!)([١٦])

ويتلمس صاحب الظلال رحمه الله ملامح الجمال في تلك الصورة الندية الرخية ليس فقط في المفردات بل في ترتيب الصورة وبيان المتاع واللذاذة والنعيم بقلمه الراقي الرائق، فيقول: (فهنا وجوه يبدو فيها النعيم. ويفيض منها الرضى. وجوه تنعم بما تجد، وتحمد ما عملت. فوجدت عقباه خيرا، وتستمتع بهذا الشعور الروحي الرفيع. شعور الرضى عن عملها حين ترى رضى الله عنها. وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته، ثم يراها ممثلة في رضى الله الكريم. وفي النعيم. ومن ثم يقدم القرآن هذا اللون من السعادة على ما في الجنة من رخاء ومتاع، ثم يصف الجنة ومناعمها المتاحة لهؤلاء السعداء...إن هذه المشاهد لتوحي إلى القلب شيئا. بمجرد النظر الواعي والتأمل الصاحي. وهذا القدر يكفي لاستجاشة الوجدان واستحياء القلب. وتحرك الروح نحو الخالق المبدع لهذه الخلائق.

ونقف وقفة قصيرة أمام جمال التناسق التصويري لمجموعة المشهد الكوني لنرى كيف يخاطب القرآن الوجدان الديني بلغة الجمال الفني، وكيف يعتنقان في حس المؤمن الشاعر بجمال الوجود..

إن المشهد الكلي يضم مشهد السماء المرفوعة والأرض المبسوطة. وفي هذا المدى المتطاول تبرز الجبال «منصوبة» السنان لا راسية ولا ملقاة، وتبرز الجمال منصوبة السنام.. خطان أفقيان وخطان رأسيان في المشهد الهائل في المساحة الشاسعة. ولكنها لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات! على طريقة القرآن في عرض المشاهد، وفي التعبير بالتصوير على وجه الإجمال)([١٧])

[١٦] – في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٩٥)

[١٧] – في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٩٩).

وبدا هذا التصوير الجمالي في رصد القرآن الكريم لهذا المشهد البديع من زوايا متعددة، ففيها امتنان على الإنسان ولفت لنظره إلى الزينة وجميل صنع الله، وفي هذا من بناء العقول وجذبها إلى الإفادة بالجمال ما فيه:(وقد جاء نظم هذا الكلام على أسلوب الإعجاز في جمع معان كثيرة يصلح اللفظ لها من مختلف الأغراض المقصودة، فإن الإخبار عن خلق ما على الأرض زينة يجمع الامتنان على الناس والتذكير ببديع صنع الله إذ وضع هذا العالم على أتقن مثال ملائم لما تحبه النفوس من الزينة والزخرف. والامتنان بمثل هذا كثير، مثل قوله: ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون [النحل: ٦] ، وقال: زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث [آل عمران: ١٤] .

ولا تكون الأشياء زينة إلا وهي مبثوثة فيها الحياة التي بها نماؤها وازدهارها. وهذه الزينة مستمرة على وجه الأرض منذ رآها الإنسان، واستمرارها باستمرار أنواعها وإن كان الزوال يعرض لأشخاصها فتخلفها أشخاص أخرى من نوعها. فيتضمن هذا امتنانا ببث الحياة في الموجودات الأرضية.

ومن لوازم هذه الزينة أنها توقظ العقول إلى النظر في وجود منشئها وتسبر غور النفوس في مقدار الشكر لخالقها وجاعلها لهم، فمن موف بحق الشكر، ومقصر فيه وجاحد كافر بنعمة هذا المنعم ناسب إياها إلى غير موجدها)([١٨])

ومن المشاهد اللافتة للنظر التي تحدث عنها القرآن الكريم والتي يبدو فيها حرص القرآن الكريم على غرس قيم الجمال في الإنسان، حديثه بصورة مقارنة بين السماء وما فيها والأرض وما عليها، فالسماء بما تحوي من نجوم وزينة، وليس لها من فروج، والأرض وما عليها من رواسي شامخات، واحتوائها لكل زوج بهيج، ومشهد النخل الباسقات، والمقارنة بين تلك الصورة كلها، والصورة المقابلة لها تحريك للنفس وشد لقوى التعقل أن تغرى بالجمال، وتتوقف عنده، **ومن هذا قوله تعالى:**

(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١، ق: ٦- ١١.

[١٨] – التحرير والتنوير (١٥/ ٢٥٧).

إن الوقوف فقط وبداية عند المفردات التي تناولها النص الكريم وحده كاف وغني عن اللبيان عن حرص القرآن الكريم على غرس هذه الحاسة وتلك الذائقة في نفس البشر، فنحن نجد في هذا النص الكريم وحده ألفاظ: فوقهم، بما فيها من علو وسمو، بنيناها، زيناها، ما لها من فروج، مددناها، رواسي، بهيج، النخل الباسقات، الطلع النضيد، إحياء البلدة الميتة، كل هذه المفردات المتراصة تراصا بديعا مغريا بالحركة النفسية والتأمل الفكري لا مزيد عليه في البيان.

(إن هذه السماء صفحة من كتاب الكون تنطق بالحق الذي فارقوه. أفلم ينظروا إلى ما فيها من تشامخ وثبات واستقرار؟ وإلى ما فيها بعد ذلك من زينة وجمال وبراءة من الخلل والاضطراب! إن الثبات والكمال والجمال هي صفة السماء التي تتناسق مع السياق هنا. مع الحق وما فيه من ثبات وكمال وجمال. ومن ثم تجيء صفة البناء وصفة الزينة وصفة الخلو من الثقوب والفروج.

وكذلك الأرض صفحة من كتاب الكون القائم على الحق المستقر الأساس الجميل البهيج:

«والأرض مددناها، وألقينا فيها رواسي، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج» ..

فالامتداد في الأرض والرواسي الثابتات والبهجة في النبات.. تمثل كذلك صفة الاستقرار والثبات والجمال، التي وجه النظر إليها في السماء.

وعلى مشهد السماء المبنية المتطاولة الجميلة، والأرض الممدودة الراسية البهيجة يلمس قلوبهم، ويوجهها إلى جانب من حكمة الخلق، ومن عرض صفحات الكون: «تبصرة وذكرى لكل عبد منيب» ..

المطلب الثاني

تنمية القرآن الذائقة الجمالية من خلال المفردة

وإذا أخذنا فقط بعض النماذج العجلى فضلا عن المتأنية لنخلص من خلالها إلى حرص القرآن على غرس قيمة الجمال في النفس البشرية، ودليلا على منهجيته الخاصة في هذا الغرس وجدنا تزاحما عجيبا، وغنى زاخرا ، وسأقتصر على بعض المواطن التي اخترتها من خلال تخير القرآن للمفردة التي يعبر بها عن مراده على الرغم من وفرة مفردات كثيرة قد تؤدي في الظاهر المعنى، إلا أن القرآن الكريم يعدل عنها، ويختار غيرها لحكمة يريدها وهدف يتغياه، وهو تنمية الذوق الجمالي عند الإنسان، وتربيته على اختيار الأفضل والأحسن والأنفع والأرق، والأدق، وسيبين هذا من خلال الوقوف عند هذه النماذج الرائدة ومنها:

النموذج الأول: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا)**.النساء: ٤٣.**

وبيت القصيد هنا أن القرآن الكريم يعدل عن لفظ إلى لفظ ويترك لفظا ويعبر بآخر، مراعاة لنواحي يريد أن يغرسها في ذهن القارئ والسامع، فهنا(أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) ، والغائط المكان المنخفض ومعلوم السبب في الذهاب إليه، والملامسة هنا عبر بها عن الحالة الخاصة بين الرجل وزوجه، كما قال الطبري: (أو جامعتم النساء وأنتم مسافرون)([١٩])

ويقول ابن عطية: (وكانت الملامسة هي الجماع)([٢٠])

وإن رأي الشافعي أن المراد من الملامسة هي المس بالكف، ([٢١])

وبين الإمام الرازي اختلاف الفقهاء فيها([٢٢])،

ولا أتوقف هنا عند بيان الاختلاف وتحرير المراد من الملامسة وإنما يعنيني منهجية القرآن في التعبير هنا حيث اختار اللفظ الراقي البديع، اللطيف الذي لا يجرح شعورا ولا يكشف مستورا، سواء في الذهاب إلى الحاجة الطبيعية للإنسان، أو ذكر الحالة الخاصة بين الزوج وزوجه، فما دام المعنى قد وضح فتكفي فيه الإشارة عن العبارة، ويقتصر فيه بالتلميح عن التصريح، وهي عادة القرآن الكريم في التعبير والبيان بل سنته كما يسميها صاحب المنار، (فكل من التعبيرين كناية على **سنة القرآن في النزاهة** ؛ كالتعبير بالجنابة هنا، وبالمباشرة في سورة البقرة، والمراد: أو أحدثتم الحدث الموجب للوضوء عند إرادة الصلاة ونحوها كالطواف – ويسمى الحدث الأصغر أو الحدث الموجب للغسل، ويسمى الحدث الأكبر – فلم تجدوا ماء تتطهرون به ؛ أي إذا كنتم على حال من هذه الأحوال الثلاث: المرض، أو السفر أو فقد الماء عند الحاجة إليه لإحدى الطهارتين)([٢٣])

أما صاحب الظلال فلا يفوته في هذا المشهد أن يسجل كعادته رقائقه ولطائفه في التناول القرآني البديع، فيقول: (نقف أمام بعض التعبيرات الرائقة في هذا النص القصير:

ذلك حين يعبر عن قضاء الحاجة في الغائط بقوله: «أو جاء أحد منكم من الغائط» .. فلا يقول: إذا عملتم كذا وكذا.. بل يكتفي بالعودة من هذا المكان، كناية عما تم فيه! ومع هذا لا يسند الفعل إلى المخاطبين. فلا يقول: أو جئتم من الغائط. بل يقول: «أو جاء أحد منكم من الغائط» زيادة في أدب الخطاب، ولطف الكناية. ليكون هذا الأدب نموذجا للبشر حين يتخاطبون! وحين يعبر عما يكون بين الرجل والمرأة بقوله: «أو لامستم النساء»

---

[١٩] – جامع البيان ت شاكر (١٠/ ٨٣).

[٢٠] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٦١)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/ ١٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٣٦٠). التفسير المظهري (٢ ق ٢/ ١٢٠).

[٢١] – تفسير الإمام الشافعي (٢/ ٧٠٩)

[٢٢] – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠/ ٨٩). تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨٠). في ظلال القرآن (٢/ ٦٦٩).

[٢٣] – تفسير المنار (٦/ ٢٠٩).

والتعبير بالملامسة أرق وأحشم وأرقى– والملامسة قد تكون مقدمة للفعل أو تعبيرا عنه– وعلى أية حال فهو أدب يضربه الله للناس، في الحديث عن مثل هذه الشؤون. عند ما لا يكون هناك مقتض للتعبير المكشوف. وحين يعبر عن الصعيد الطاهر، بأنه الصعيد الطيب. ليشير إلى أن الطاهر طيب. وأن النجس خبيث.. وهو إيحاء لطيف المدخل إلى النفوس..

وسبحان خالق النفوس. العليم بهذه النفوس!)([٢٤])

وبهذه الطريقة يتغلغل القرآن بأسلوبه إلى النفوس ويغرس فيها بمنهجيته الحس الجمالي رويدا رويدا حتى يصل إلى مبتغاه من إنشاء نفس سوية تعشق الجمال بيانا وسلوكا، وتعيشه حركة وتطبيقا.

النموذج الثاني: قوله تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)المائدة: ٧٥.

وفي هذا النموذج الثاني نرى كيف عبر القرآن الكريم عن الحاجة الطبيعية لكل الناس بشيء لافت للنظر، ومن لطائف الإمام القشيري قوله:(من اشتملت عليه الأرحام، وتناوبته الآثار المتعاقبة أنى يليق بوصف الإلهية؟

ثم من مسته الحاجة حتى اتصف بالأكل وأصابته الضرورة إلى أن يخلص من بقايا الطعام فأنى يليق به استيجاب العبادة والتسمية بالإلهية؟)([٢٥])

وفي هذا من الاختصار والكناية ما فيه، ونبه بأكل الطعام على عاقبته؛ وهو الحدث([٢٦])،

وهذا تعبير قرآني مهذب، فمن كان يتناول الطعام لدفع ألم الجوع، سوف يضطر بحكم تناوله الطعام إلى العمل على التخلص من فضلاته، وإذن فهو يحتاج لتناول الطعام أولا والتخلص من فضلاته ثانيا، ومن كان حاله هو هذا فكيف يكون إلها([٢٧])

وفي هذا العدول من القرآن عن التعبير باللفظ الصريح، والاكتفاء عه بفهم السامع ما فيه من رعاية الحس الجمالي ومراعاة الذوق الجمالي ما فيه.

---

[٢٤] – في ظلال القرآن (٢/ ٦٧١).

[٢٥] – لطائف الإشارات (١/ ٤٤٠).

[٢٦] – راجع تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٤٠).

[٢٧] – التيسير في أحاديث التفسير (٢/ ٧٧) وانظر: تفسير السمعاني (٢/ ٥٦) النكت والعيون (٢/ ٥٦). زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٧٢). تفسير العز بن عبد السلام (١/ ٤٠٠). تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٠).

النموذج الثالث: قوله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)، عبس: ٧- ١٠.

وفيه من تنمية الحس عدم الخطاب بالعتاب مواجهة، ولا عنف التصريح بالتقويم، مع أن المخاطب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن جاءت العبارة الكريمة بصيغة الالتفات، كأنها تخاطب شخصا آخر، تعريفا للمسلم كيف يكون العتاب، وكيف ينبغي أن يكون الخطاب.

وعلى اختلاف لغة الكتابة عن لغة الكلام إلا أن أثناء العبارة وأطواءها أظهر المعنى بجلاء،(فلغة الكتابة لها قيود وأوضاع وتقاليد، تغض من حرارة هذه الموحيات في صورتها الحية المباشرة. وينفرد الأسلوب القرآني بالقدرة على عرضها في هذه الصورة في لمسات سريعة. وفي عبارات متقطعة. وفي تعبيرات كأنها انفعالات، ونبرات وسمات ولمحات حية! «عبس وتولى. أن جاءه الأعمى» .. بصيغة الحكاية عن أحد آخر غائب غير المخاطب! **وفي هذا الأسلوب إيحاء بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب- سبحانه- أن يواجه به نبيه وحبيبه. عطفا عليه، ورحمة به، وإكراما له عن المواجهة بهذا الأمر الكريه!**)([٢٨])

والأمثلة على هذه الصورة من صور التعبير والعدول في القرآن غنية زاخرة، فهو بها ينمي الأذواق، ويرقق الحس، ويعلي الذائقة، ويبسط للناس نماذج من التعبير الراقي، والبيان المسؤول.

[٢٨] - في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٢٤).

المطلب الثالث

منهجية القرآن في غرس الجمال من حيث التصوير

وكما حرَص القرآن الكريم على بناء الحس الجمالي في نفس الإنسان عبر المفردة واختيارها، وعدل عن مفردات واختار غيرها في سبيل أن تستشعر النفس البشرية قيمة هذا العدول فتعدل عن مفردة إلى غيرها رغبة في رقي التناول ورهافة التعبير وسمو البيان، حرص على غرس تلك الروح من خلال التصوير، ووجدنا في أثناء القرآن صورا باهرة قاهرة، تأخذ بالألباب وتشده العقول، وتوله النفوس التائقة للجمال، ونتناول ثلاثة نماذج غير مستطردين في الحشد حتى نتملى هذه الصور البديعة في العرض والسوق والاتساق، ونستبين أثر تلك المنهجية في السامع ومدى حاجتنا إلى الإفادة منها في سبيل النهوض بأنفسنا تنمية وترقية، ومن هذه النماذج ما يأتي:

النموذج الأول قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)، الرعد: ٣، ٤.

وفي الصورة البديعة تلمح مد الأرض والرواسي فوقها، والأنهار الثمرات والتعاور بين الليل والنهار، والقطع المتجاورات من الجنات والأعناب والزروع والنخيل، إنها صورة بديعة مرسومة رسما رائقا بشكل تتناسب فيه الأشياء، وتتناغم في صحبته المفردات دون تزاحم أو تطاول بل اتساق وانسجام،

والمعنى: (وفي الأرض مع القطع المختلفات المعاني منها، بالملوحة والعذوبة، والخبث والطيب، مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض، بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضا، متقاربة في الخلقة مختلفة في الطعوم والألوان، مع اجتماع جميعها على شرب واحد. فمن طيب طعمه منها حسن منظره طيبة رائحته، ومن حامض طعمه ولا رائحة له.)([٢٩])

إنه عرض سريع وخاطف لمظاهر متنوعة من صنع الله العجيب، وظواهر دقيقة من تدبيره المحكم، مما يبعث على التفكر والتدبر كل من عنده عقل أو فكر.

[٢٩] – جامع البيان ت شاكر (١٦/ ٣٣٣.

والوحي الإلهي الذي امتاز به الإسلام لا يتهيب أن يحتكم دائما إلى العقل الناضج والفكر السليم، وأن يعتمد عليهما، بل هو واثق بانتصاره أمام فحصهما، مطمئن إلى إقناعه لهما، لأنه منبثق من صميم الفطرة الأصيلة التي فطر الله الناس عليها، ولا يوجد أي تعارض أو تناقض بينه وبينها([٣٠])

إن هذه الصورة البديعة المتراصة نمط من الجمال العجيب، في الوصف والتنسيق والبيان والترابط، وحفز للهمم وشحذ لمكامن تذوق الجمال، ودفع للنفوس الصافية دفعا أن تتلى هذه الصورة وتقف أمامها، فهي ترسم الأرض الممهودة الممدودة وما عليها من جهة، والسماء المرفوعة وما فيها من جهة، وفي هذا التقابل البديع ما فيه ، ثم تتوالى المقابلات حتى في أدق الأشياء وأبسطها، وعلى عادة صاحب الظلال لا يتركنا دون وقفات رائدة في هذا الباب فيقف (أمام التقابلات الفنية في المشهد قبل أن نجاوزه إلى ما وراءه.. التقابلات بين الرواسي الثابتة والأنهار الجارية. وبين الزوج والزوج في كل الثمرات. وبين الليل والنهار. ثم بين مشهد الأرض كله ومشهد السماء السابق. وهما متكاملان في المشهد الكوني الكبير الذي يضمهما ويتألف منهما جميعا.

ثم تمضي الريشة المبدعة في تخطيط وجه الأرض بخطوط جزئية أدق من الخطوط العريضة الأولى: «وفي الأرض قطع متجاورات، وجنات من أعناب، وزرع، ونخيل صنوان وغير صنوان، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل. إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» ..

وهذه المشاهد الأرضية، فينا الكثيرون يمرون عليها فلا تثير فيهم حتى رغبة التطلع إليها! إلا أن ترجع النفس إلى حيوية الفطرة والاتصال بالكون الذي هي قطعة منه، انفصلت عنه لتتأمله ثم تندمج فيه.. «وفي الأرض قطع متجاورات» ..

متعددة الشيات، وإلا ما تبين أنها «قطع» فلو كانت متماثلة لكانت قطعة.. منها الطيب الخصب، ومنها السبخ النكد. ومنها المقفر الجدب، ومنها الصخر الصلد. وكل واحد من هذه وتلك انواع وألوان ودرجات. ومنها العامر والغامر. ومنها المزروع الحي والمهمل الميت. ومنها الريان والعطشان. ومنها، ومنها، ومنها.. وهي كلها في الأرض متجاورات.

هذه اللمسة العريضة الأولى في التخطيط التفصيلي.. ثم تتبعها تفصيلات: «وجنات من أعناب» . «وزرع» .«ونخيل» تمثل ثلاثة أنواع من النبات، الكرام المتسلق. والنخل السامق. والزرع من بقول وأزهار وما أشبه. مما يحقق تلوين المنظر، وملء فراغ اللوحة الطبيعية، والتمثيل لمختلف أشكال النبات.

ذلك النخيل. صنوان وغير صنوان. منه ما هو عود واحد. ومنه ما هو عودان أو أكثر في أصل واحد..

---

[٣٠] – التيسير في أحاديث التفسير (٣/ ٢٢٢). لطائف الإشارات (٢/ ٢١٧). محاسن التأويل (٦/ ٢٥٨) الوجيز للواحدي (ص: ٥٦٥). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥١٢).

وكله «يسقى بماء واحد» والتربة واحدة، ولكن الثمار مختلفات الطعوم:

«ونفضل بعضها على بعض في الأكل» .فمن غير الخالق المدبر المريد يفعل هذا وذاك؟!

من منا لم يذق الطعوم مختلفات في نبت البقعة الواحدة. فكم منا التفت هذه اللفتة التي وجه القرآن إليها العقول والقلوب؟ إنه بمثل هذا يبقى القرآن جديدا أبدا، لأنه يجدد أحاسيس البشر بالمناظر والمشاهد في الكون والنفس وهي لا تنفد ولا يستقصيها إنسان في عمره المحدود، ولا تستقصيها البشرية في أجلها الموعود.)([٣١])

النموذج الثاني قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.يس:٣٣- ٤٠.

إنها صورة متكاملة من حياة الأرض الميتة، والجنات والنخيل والأعناب والعيون الجارية، والليل الذي يسلخ منه النهار، والقمر الذي يتغير من حال إلى حال، حتى يعود إلى ما كان، والشمس التي تجري لمستقرها والليل الذي يسابق النهار ولا يسبقه، وهذا الفلك الماخر في الكون، هذا كله صورة بديعة لما حولنا من الحياة والأحياء تغري بالحس الجمالي وتنادي عليه.

(وإن رؤية الزرع النامي، والجنان الوارفة، والثمر اليانع، لتفتح العين والقلب على يد الله المبدعة، وهي تشق التربة عن النبتة المتطلعة للحرية والنور، وتنضر العود المستشرف للشمس والضياء، وتزين الغصن اللدن بالورق والثمار، وتفتح الزهرة وتنضج الثمرة، وتهيئها للجني والقطاف.. «ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم» .. ويد الله هي التي أقدرتهم على العمل، كما أقدرت الزرع على الحياة والنماء! «أفلا يشكرون؟» .

ويلتفت عنهم بعد هذه اللمسة الرفيقة ليسبح الله الذي أطلع لهم النبت والجنان، وجعل الزرع أزواجا ذكرانا وإناثا كالناس وكغيرهم من خلق الله الذي لا يعلمه سواه:

«سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون» ..

وهذه التسبيحة تنطلق في أوانها وفي موضعها وترتسم معها حقيقة ضخمة من حقائق هذا الوجود. حقيقة وحدة الخلق.. وحدة القاعدة والتكوين.. فقد خلق الله الأحياء أزواجا. النبات فيها كالإنسان. ومثل ذلك غيرهما.. «ومما

[٣١] – في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٤٦).

لا يعلمون» . وإن هذه الوحدة لتشي بوحدة اليد المبدعة. التي توجد قاعدة التكوين مع اختلاف الأشكال والأحجام والأنواع والأجناس، والخصائص والسمات، في هذه الأحياء التي لا يعلم علمها إلا الله..)([٣٢])

النموذج الثالث قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)فاطر: ٢٧، ٢٨

وهذا النموذج الثالث في هذا المقام يصور فيه الله عز وجل نزول الماء من السماء فيخرج ثمرات مختلفا ألوانها، كما يصف الجدد البيض والحمر من الجبال والغرابيب السود، والمعنى:

(ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثا، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها؛ يقول: فسقيناه أشجارا في الأرض، فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها، منها الأحمر، ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها {ومن الجبال جدد بيض وحمر} [فاطر: ٢٧] يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق)([٣٣])

(إنها لفتة كونية عجيبة من اللفتات الدالة على مصدر هذا الكتاب. لفتة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها. في الثمرات. وفي الجبال. وفي الناس. وفي الدواب والأنعام. لفتة تجمع في كلمات قلائل، بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا، وتدع القلب مأخوذا بذلك المعرض الإلهي الجميل الرائع الكبير الذي يشمل الأرض جميعا.

وتبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات المختلفات الألوان. ولأن المعرض معرض أصباغ وشيات، فإنه لا يذكر هنا من الثمرات إلا ألوانها «فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها» .. وألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال. فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر. بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد. فعند التدقيق في أي ثمرتين أختين يبدو شيء من اختلاف اللون! وينتقل من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية.

ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها، بل إن فيها أحيانا ما يكون على شكل بعض الثمار وحجمها كذلك حتى ما تكاد تفرق من الثمار صغيرها وكبيرها! «ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود» ..

---

[٣٢] –في ظلال القرآن (٥/ ٢٩٦٧).

[٣٣] – جامع البيان :(١٩/ ٣٦٢). تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٤/ ٣٠). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ٦١).

والجدد الطرائق والشعاب. وهنا لفتة في النص صادقة، فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها. والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها. مختلف في درجة اللون والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه، وهناك جدد غرابيب سود، حالكة شديدة السواد.

واللفتة إلى ألوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها إلى جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزا، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي، التي تنظر إلى الجمال نظرة تجريدية فتراه في الصخرة كما تراه في الثمرة، على بعد ما بين طبيعة الصخرة وطبيعة الثمرة، وعلى بعد ما بين وظيفتيهما في تقدير الإنسان. ولكن النظرة الجمالية المجردة ترى الجمال وحده عنصرا مشتركا بين هذه وتلك، يستحق النظر والالتفات....الصفحات نموذج من الكتاب.. والألوان والأصباغ نموذج من بدائع التكوين الأخرى وبدائع التنسيق التي لا يدركها إلا العلماء بهذا الكتاب. العلماء به علما واصلا. علما يستشعره القلب، ويتحرك به، ويرى به يد الله المبدعة للألوان والأصباغ والتكوين والتنسيق في ذلك الكون الجميل.

إن عنصر الجمال يبدو مقصودا قصدا في تصميم هذا الكون وتنسيقه. ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدى عن طريق جمالها. هذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع الرائحة الخاصة التي تفوح. ووظيفة النحل والفراش بالقياس إلى الزهرة هي القيام بنقل اللقاح، لتنشأ الثمار. وهكذا تؤدي الزهرة وظيفتها عن طريق جمالها! .. والجمال في الجنس هو الوسيلة لجذب الجنس الآخر إليه، لأداء الوظيفة التي يقوم بها الجنسان. وهكذا تتم الوظيفة عن طريق الجمال. الجمال عنصر مقصود قصدا في تصميم هذا الكون وتنسيقه. ومن ثم هذه اللفتات في كتاب الله المنزل إلى الجمال في كتاب الله المعروض.)([٣٤])

وفي هذا التصوير والتبيين دفع للنفس إلى تذوق الجمال، والإحساس به حتى تصح النفس البشرية وتكون نفسا سوية.

[٣٤] – في ظلال القرآن (٥/ ٢٩٤٣).

المطلب الرابع

ربط القرآن بين الجمال والنفع في التناول

ومن منهجية القرآن الكريم في غرس الجمال في النفس البشرية ربطه في تناوله بين الجمال والنفع، فتتملاه النفس وتفيد منه، ولا تكاد تجد آية تتناول الحديث عن الجمال إلا وفيها حديث صريح أو غير صريح عن النفع به، والإفادة منه، وفي الموطن الصريح للفظ الجمال والذي يتناول وصف الأنعام وخلق الله لها لتكون للإنسان يبدو هذا المعنى واضحا تماما، فيقول تعالى: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)النحل: ٥- ٩.

ثم بيِّن النعمة فقال تعالى: والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع أي: ما يستدفأ به من الأكسية وغيرها، والذي يتخذ منه البيوت من الشعر والوبر والصوف. وأما المنافع، فظهورها التي تحمل عليها، وألبانها. ويقال: الدفء الصغار من الإبل. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: لكم فيها دفء أي: في نسل كل دابة ومنها تأكلون أي: من لحمها.)([٣٥])

ويبين صاحب الظلال مدى هذا النفع في البيئات الخاصة ومدى حاجتها إلى هذا النفع (وفي بيئة كالبيئة التي نزل فيها القرآن أول مرة، وأشباهها كثير وفي كل بيئة زراعية والبيئات الزراعية هي الغالبة حتى اليوم في العالم.. في هذه البيئة تبرز نعمة الأنعام، التي لا حياة بدونها لبني الإنسان. والأنعام المتعارف عليها في الجزيرة كانت هي الإبل والبقر والضأن والمعز. أما الخيل والبغال والحمير فللركوب والزينة ولا تؤكل والقرآن إذ يعرض هذه النعمة هنا ينبه إلى ما فيها من تلبية لضرورات البشر وتلبية لأشواقهم كذلك (ففي الأنعام دفء من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار، ومنافع في هذه وفي اللبن واللحم وما إليها. ومنها تأكلون لحما ولبنا وسمنا، وفي حمل الأثقال إلى البلد البعيد لا يبلغونه إلا بشق الأنفس. ...وهذه اللفتة لها قيمتها في بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة. فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات.

تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان.

[٣٥] – بحر العلوم (٢/ ٢٦٦)، تفسير يحيى بن سلام (١/ ٥١)، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٦٧).

«إن ربكم لرؤف رحيم» يعقب بها على حمل الأثقال إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس توجيها إلى ما في خلق الأنعام من نعمة، وما في هذه النعمة من رحمة.)([٣٦])

لقد ربط القرآن الكريم بين الجمال والنفع في النموذج القرآني السابق بما يظهر ويجلي قيمة الجمال، ويعليه، فليس هو ترفا تستروحه النفس وقتا ثم تتجاوزه، بل هو من صميم تركيب النفس السوية، ومن صميم حاجتها في الحياة، والنموذج التالي يبين لنا مدى هذا النفع في الدلالة على الله، والدعوة إلى التفكر والتذكر والشكر للمنعم الكريم حتى يكون هذا الجمال ورؤيته سببا للاهتداء وطريقا موصلة إلى معرفة الحق واتباع الصدق، والوصول إلى طريق الله رب العالمين.

النموذج الثاني قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨))

والمتأمل لهذه الآيات الكريمة يجد الربط البديع بين الجمال والنفع الخاص والعام، فهو طريق إلى التفكر الذي يدل الناس على الله تعالى، وسبيل إلى معرفة الخالق الحق والتفريق بينه وبين من لا يخلق أصلا، بل التأمل في السياق القرآني العام الذي وردت فيه هذه الآيات الكريمة تربط كل هذا بالنعم ، حتى في استهلال السورة الكريمة، (أتى أمر الله المنزه عن الشرك المتعالي عما يشركون. الله الذي لا يدع الناس إلى ضلالهم وأوهامهم إنما هو ينزل عليهم من السماء ما يحييهم وينجيهم: «ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده» ..

وهذا أولى نعمه وكبراها. فهو لا ينزل من السماء ماء يحيي الأرض والأجسام وحدها إنما ينزل الملائكة بالروح من أمره. وللتعبير بالروح ظله ومعناه. فهو حياة ومبعث حياة: حياة في النفوس والضمائر والعقول والمشاعر. وحياة في المجتمع تحفظه من الفساد والتحلل والانهيار. وهو أول ما ينزله الله من السماء للناس، وأول النعم التي يمن الله بها على العباد. تنزل به الملائكة أطهر خلق الله على المختارين من عباده– الأنبياء– خلاصته وفحواه: «أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون.»

[٣٦] – في ظلال القرآن (٤/ ٢١٦١).

إنها الوحدانية في الألوهية. روح العقيدة. وحياة النفس. ومفرق الطريق بين الاتجاه المحيي والاتجاه المدمر. فالنفس التي لا توحد المعبود نفس حائرة هالكة تتجاذبها السبل وتخايل لها الأوهام وتمزقها التصورات المتناقضة، وتناوشها الوساوس، فلا تنطلق مجتمعة لهدف من الأهداف! والتعبير بالروح يشمل هذه المعاني كلها ويشير إليها في مطلع السورة المشتملة على شتى النعم، فيصدر بها نعمه جميعا وهي النعمة الكبرى التي لا قيمة لغيرها بدونها ولا تحسن النفس البشرية الانتفاع بنعم الأرض كلها إن لم توهب نعمة العقيدة التي تحييها.)([٣٧])

النموذج الثالث قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)ق: ٦- ١١.

وفي هذا النموذج القرآني الفريد ترى الربط البديع بين جمال الأرض وتزيينها، والأرض ومدها، وإلقاء الرواسي فيها وإنبات كل زوج بهيج، وبين أن يكون هذا تبصرة وذكرى، ودلالة للخلق على الحق، ثم ترى في نهاية الآيات الكريمة الهدف الأسمى والغاية الكبرى في بيان التشابه بين هذا النموذج المعروض وما فيه وبين البعث والنشور (كذلك الخروج)، ويتكرر هذا في كل صورة من صور الجمال وكل موطن يعرض فيه القرآن لوحة من لوحاته، وفي آية أخرى يربط القرآن الكريم بين إنزال الماء من السماء واثره في الأرض وبين خمس قضايا من أخطر القضايا وأهمها، فيقول تعالى: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)، الحج: ٥- ٧.

فتحدثت الآيات الكريمة عن قضايا:

١- حقِّية الله تعالى.
٢- أنه يحيي الموتى
٣- طلاقة قدرته
٤- مجيئ الساعة وثباتها وأنه لا ريب فيها.
٥- قضية البعث.

وتكاد تكون هذه القضايا الخمس هي أهم القضايا التي تدور عليها العقيدة.

[٣٧] - في ظلال القرآن (٤/ ٢١٦٠).

الخاتمة

وبعد هذه التطوافة السريعة المشبعة بجمال القرآن ومنهجية القرآن ودعوة القرآن يمكننا أن نصل إلى الآتي:

أن الجذر اللغوي لمفردة الجمال دار حول الحسن والكثرة والمتاع والزينة ١-

٢- أن المعنى الاصطلاحي للجمال لم يبعد كثيرا عن المعنى اللغوي بل دار حوله وتأسس عليه

٣- أن القرآن الكريم عني عناية خاصة بالجمال؛ ذكرا وعرضا وتصويرا وتبيينا وتحفيزا وتحريضا .

٤- أن القرآن الكريم عني بالجانب المعنوي والجانب الحسي في الجمال بل أولى الجانب المعنوي عناية خاصة حيث ورد في سبعة مواطن من جملة المواطن الثمانية التي ورد فيها، فمرة واحدة ورد مرادا به الجمال الحسي، وفي السبعة الباقية ورد مرادا به الجمال المعنوي.

٥ – أن القرآن الكريم له منهجية واضحة في تناول الجمال وفي غرسه في نفس السامع والقارئ، وأن هذه المنهجية بدت ملامحها في دعوة القرآن الإنسان إلى النظر إلى الجمال والتمتع به والتناول الجميل في صورة المفردة المختارة، وفي التصوير البديع للمشهد المعروض وفي إبراز الأثر النفسي للجمال في نفس السامع والقارئ وهذا ما تناوله بعض علمائنا في التأثير البلاغي للقرآن الكريم، وبدا كذلك في الربط بين الجمال والنفع العام والخاص، وفي الربط بينه وبين مجموعة من القضايا الكبرى التي لا يجمل الإنسان إلا بها وبفهمها فهما صحيحا.

٦ – وأدعي أن القرآن الكريم لم يُخدم في إبراز الجوانب الجمالية فيه بصورة تتناسب مع حاجتنا إلى هذا الجانب، وهذه دعوة للباحثين والكاتبين أن يعطفوا إلى القرآن عطفة ويميلوا إليه ميلة تهدف إلى استجلاء جوانب الجمال وتصويرها ودعوة الناس إلى الانتفاع بها والله المستعان.

أهم المصادر والمراجع

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ،الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ،الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)،المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)،المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة
- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م
- تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)،المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م –

- تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم ابن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ،
- تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
- التفسير المظهري، المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ.
- التفسير الميسر، : مجموعة من العلماء – عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
- التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م١٨.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، المؤلف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م
- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)،ت حقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م،

- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ
- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)،الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى]
- لطائف الإشارات ، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
- محاسن التأويل: المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)،المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن: لمحيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)،المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

- معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي .
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)،المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)،تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.